تفسير

سورة الشمس[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ . هذه الآيــة ، والتي بعدها أقســام كلها إلى قوله : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ وهو جواب القسم .

قال الزَّجَّاج : «المعنــى لقد أفلح ، ولكن اللام حذفــت ؛ لأن الكلام طال فصار طوله عوضاً منها»[٢] .

وأمَّا تفسير : (ضحاها) .

---

(١) مكية بقول الجميع . انظر : تفســير مقاتل ٢٤٠أ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢٠٧ ، وبحر العلوم ٣/ ٤٨٢ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٩ب ، والكشاف ٤/ ٢١٤ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٧٢ ، وغيرها .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣١ .

فقال الليث : «الضَّحْو ارتفاع النهـــار ، والضُّحَى فُوَيْقَ ذلك ، والضُّحَاءُ[١] ممدود إذا امتد النهار وكَرَبَ[٢] أن ينتصف»[٣] .

وقـــال أبو الهيثـــم : «الضُّحَـــى : على فُعَل حـــين تطلع الشـــمس ، فيصفو ضَوْؤهَا»[٤] .

وذكر المفسرون في (ضحاها) ثلاثة أقوال : قال مجاهد : «ضوؤها[٥] ، (وهو قول الكلبي[٦])»[٧] ، وقال قتادة : «هـــو النهار كله»[٨] ، وهو اختيار الفرَّاء[٩] ، وابن قتيبة[١٠] .

---

(١) في (أ) : (الضحى) .

(٢) كرب : كاد . انظر : مختار الصحاح (كرب) ٥٦٦ .

(٣) تهذيب اللغة (ضحا) ٥/ ١٥٠ بنصه .

(٤) تهذيب اللغة (ضحا) ٥/ ١٥١ ، ١٥٢ .

(٥) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢٠٨ ، والكشـــف والبيان ١٣/ ٩٩ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩١ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٧ بمعناه ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٦ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٩٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٧٢ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٨ بمعناه ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٠ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٨ .

(٦) معالم التنزيل ٤/ ٤٩١ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٩٠ ، وفتح القدير ٥/ ٤٢٨ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) جامع البيان ٣٠/ ٢٠٧ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٩ب ، والنكت والعيون ٦/ ٢٨١ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩١ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٧ ، وزاد المســـير ٨/ ٢٥٦ ، والتفســـير الكبير ٣١/ ١٩٠ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٠ .

(٩) معاني القرآن ٣/ ٢٦٦ .

(١٠) تفسير غريب القرآن ٥٢٩ .

وذكر أبو إسحاق القولين[١] ، والقول الثالث ما ذكره مقاتل قال : «أقسم الله بالشمس وحرها»[٢] ، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء[٣] .

قال المُبرِّد : «أصله في ما يقول النحويون من الضَّحِّ ، هو نور الشمس ، والألف مقلوبة عن الحاء الثانية ، يقال[٤] : ضحو وضحوات ، وضحى»[٥] ، فعلى ما ذكر ، (الواو) في ضحوة مقلوبة عن الحاء الثانية ، والألف مقلوبة عن (الواو) .

وقال[٦] أبو الهيثم : «الضَّحُّ[٧] نقيض الظل ، وهو نور الشمس على وجه الأرض ، قال : وأصله الضُّحْى فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء فثقَّلوها» .

وقالوا : «ضحّ . ومثله العبد : القِن أصله من القِنية»[٨] ، وهذا ضد ما ذَكَره المُبرِّد ، وكيف ما كان الأمر ، سواء جعلت الضحى من الضح ، أو الضح من الضحى ، فالضحى في الأصل على ما ذكرا : ضوء الشمس ونورها ، ثم سُمِّي

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣١ .

(٢) تفسير مقاتل ٢٤١أ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٩ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩١ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٧ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٦ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٩٠ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨١ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٨ ، وروح المعاني ٣٠/ ١٤٠ ، وكلها برواية : (حرها) . وقد ضعَّف الفخر هذا القول (بحرها) التفسير الكبير ٣١/ ١٩٠ .

(٣) ورد معنى قوله من ذكر طريق عطاء في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٧٢ .

(٤) في (ع) : (يقول) .

(٥) لم أعثر على نص المبرِّد في ما بين يدي من كتبه ، وقد ورد قوله في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٧٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٨ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٦/ ٥٢٨ ، وقال أبو حيان معقباً على ما قاله المُبرِّد ٨/ ٤٧٨ : «لعله مختلف عليه ؛ لأن المُبرِّد أجلُّ من أن يذهب إلى هذا ، وهاتان مادتان مختلفتان ، لا تشتق إحداهما من الأخرى» ، وانظر : الدر المصون ٦/ ٥٢٨ .

(٦) في (ع) : (قال) .

(٧) في (أ) : (الصحح) .

(٨) ورد قوله في تهذيب اللغة (ضح) ٣/ ٣٩٨ ، وانظر أيضاً : التفسير الكبير ٣١/ ١٩٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٧٣ .

(بـه)[١] الوقت الذي تشرق فيه الشـمس ، فمَن قال مـن المفسرين : وضحاها ضوؤها ، فهو على الأصل .

وكذلك مَن قال : النهار كله ؛ لأن جميع النهار هو من نور الشمس وإشراقه ، ألا ترى أنه إذا فُقد نور الشمس [اسود النهار ؟][٢] .

ومَن قال في الضحى : إنه حر الشمس ؛ فلأن نورها شيئان : ضياء ، وحرارة ، ولا ينفك أحدهما عن الآخر ، وهذا أضعف الأقوال ، وإن كان له وجه[٣] .

والقرَّاء مختلفون في فواصل هذه السـورة ، وما أشبهها نحو ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليـل :١] ، ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحـى :١-٢] ، فقـرؤوا[٤] بالإمالة[٥] والتفخيم[٦] ، وبعضها بالإمالة[٧] ، وبعضها بالتفخيم[٨] .

قال الفرَّاء : «تكسر ضحاها[٩] ، والآيات التي بعدها ، وإن كان أصل بعضها (الواو)» .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) يوجد سقط في الكلام . قلت : ولعل ما أثبته هو المراد ، والله أعلم .

(٣) مـن قوله : (فمَن قال من المفسرين . . .) إلى قوله : (وإن كان له وجه) نقله الفخر في التفسـير الكبير ٣١/ ١٩٠ .

(٤) في (أ) : (فقرأوا) .

(٥) إن العلـل التي توجب الإمالة ثلاث ، هي : الكسرة ، وما أميـل ليدل على أصله ، والإمالة للإمالة . ولتفصيله ، انظر ذلك : المبسوط ١٠٣-١١٠ ، والكشف ١/ ١٧٠-١٧٩ ، ج٢/ ٣٧٨ .

(٦) قـرأ حمـزة ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ ، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ بالكـسر ، وفتح «تلاها» و«طحاها» . وفي سـورة الضحى : (سـجى) ، وفي النازعات : ﴿دَحَىٰهَآ﴾ ، وكسر سـائر ذلك ، وقرأ نافع ، وأبو عمرو ذلك كله بين الفتح والكسر . انظر : كتاب السـبعة في القراءات ٦٨٨ ، والقـراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٧٩ ، والحجة ٦/ ٤١٨ .

(٧) قرأ الكسائي بالكسر في ذلك كله . انظر : المراجع السابقة .

(٨) قرأ ابن كثير ، وعاصم ، وابن عامر بفتح أواخر آي هذه السورة ، والليل ، والضحى . انظر : المراجع السابقة .

(٩) (وضحها) في كلتا النسختين .

ونحـــو : ﴿نَلَىٰهَا﴾ ، و﴿ضُحَىٰهَا﴾ ، و﴿دَحَىٰهَآ﴾[١] [النازعـات :٣٠] ، لمّا ابتُدئت الســـورة بحرف الياء أتبعها ما هو من «الواو» ، ولو كان الابتداء للواو ، لجاز فتح ذلك كلـــه ، قال : «وكان حمزة يفتح ما كان من الـــواو ، ويكسر ما كان من الياء ، وذلك من قلة البـــصر بمجاري الكلام ، فإذا انفرد جنس الواو فتحته ، وإذا انفرد جنس الياء فأنت فيه بالخيار : إن فتحت وإن كسرت فصواب»[٢] . انتهى كلامه.

وقال أبو إســـحاق : «مَن كسر من هذه الحروف ما كان من ذوات الياء ، أراد الدلالة على أنه من ذوات الياء ، ومَن فتح : (تلاها) ، و(طحاها) فلأنه من ذوات الواو ، ومَن كسر ، فلأن ذوات الواو ، كلها إذا رُدَّ إلى ما لم يُسَمَّ فاعِله[٣] انتقل إلى الياء نحو (تُلِـيَ) ، (ودُحِيَ) ، و(طُحِيَ)»[٤] .

وقال أبو علي الفارسي : «وجه قول مَن ترك الإمالة في هذه الحروف أن كثيراً من العـــرب لا يميلون هذه الألفات ، ولا ينحون فيها نحـــو الياء ، ويقوى ترك الإمالة للألف أن الواو في مؤســـى منقلبة عن الياء ، والياـــاء في ميقات ، وميزان منقلبـــة عن الواو ، ولم يلزم شـــيئاً من ذلك ما يدل على مـــا انقلب عنه ، فكذلك الألـــف (ينبغي أن تترك غير ممالة ، ولا متنحى بها نحو الياء ، وكذلك الألف)[٥] في آدم وآخر منقلبة عن الهمزة ، ولم يلزم ما يدل على أنه من الهمزة ، وأمَّا مَن أمال فإنه نحا بهـــا نحو الكسرة ليدل على ما انقلبت عنـــه ، ويدلك على أنه لهذا المعنى أميلـــت أن ما لم يكن منقلباً نحو الألفات في الحروف لم يمل ، وأمَّا فصل حمزة بين هذه الحروف بالإمالة في بعضها ، وتركها في بعضها فحسن ، وذلك أن الألف إنما

---

(١) في (أ) : (دحيها) .
(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٦٦ بيسير من التصرف .
(٣) أي المبني للمجهول .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣١ بتصرف .
(٥) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ) .

(تمال نحو الياء لتدل على الياء إذا كان انقلابها [عن][١] الياء ولم يكن في (تلاها) ، و(طحاها) ، و(دحاها) ، ألف منقلبة عن الياء ؛ إنما)[٢] هي منقلبة عن (الواو) بدلالة (تلوت) ، و(دحوت) .

وأمَّا مَن لم يفصل بينهم ؛ كأبي عمرو ، والكسائي فإنما لم يفصلا ؛ لأن الألف المنقلبة عن الواو قد توافق المنقلبة عن الياء ، ألا ترى أن تلوت وطحوت ونحوها قد يجوز في أفعالها وهي على العدة التي هي عليها أن تنقلب إلى الياء نحو تلى إذا بُني الفعل للمفعول ، (فلمَّا وافقت في هذا ما كان الياء استجازوا إمالته)[٣] كما استجازوا إمالة ما كان من الياء ، ومع ذلك فإن الياء تقلب عن[٤] الواو[٥] ألا ترى أنها إذا كانت رابعة في الفعل لزم البدل بالياء نحو اغزيت ، وكذلك إذا كان في اسم نحو المغزى ، والمدعى ، ثني[٦] بالياء ، وكذلك في نحو مَسْنِي ، ومَعْدِي تقلب إلى الياء ، ولا تجد الياء تقلب إلى الواو في[٧] هذا[٨] النحو ، فلمَّا كانت هذه في حكم الانقلاب عن الياء أجْرَوا الألف مجرى الألف المنقلبة عن الياء ، ويدل على أنهم لهذا (المعنى)[٩] استجازوا الإمالة في باب (دحا) ، و(طحا) ، و(تلا) ،

---

(١) في كلتا النسختين (على) ، وأثبت ما رأيته أنسب للمقال .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) في (ع) : (على) .

(٥) من قوله : (لا يميلون هذه الألفات . . .) إلى قوله : (بأن الياء تقلب عن الواو) لم أجده في الحجة ، وقد ذكر في حاشية الحجة ٦/ ٤١٩ : «أن هناك سقطاً في الأصل الخطي وقع في تتابع الصفحات» . قلت : ولعله يكون ما نص هنا ما بين القوسين هو من الساقط في الكلام ، وذلك لأن الكلام الذي يسبق ما كان بين القوسين ، والذي يليه ذكر في الحجة ، والله أعلم .

(٦) في (أ) : (ثنا) .

(٧) في (أ) : (وفي) .

(٨) ورد في نسخة (أ) عبارة : (نحو المغزا والمدعا) ، وهو مكرر في الكلام ، وليس هنا موضعه .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

و(سجا) ، إن ما كان من الأسماء ألفُهُ منقلبة عن الواو ، ونحو[١] العصا ، والقضاء[٢] لم يجيزوا فيه الإمالة لمّا لم تكن تنقلب واوها إلى الياء كما انقلبت إليها في الفعل .

وأمَّا مَن فتح (تلا) وأمال غيرها ، كما رُوي عن نافع فقوله حسن ، لأخذه بشيئين كل واحد منهما مسموع مأخوذٌ به ، فأخذ بأحدهما مرة ، وبالأخرى[٣] أخرى»[٤] .

٢. وقوله : ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ . قال المفسرون : (تبعها)[٥] .

قال الليث : «تلا يَتْلُو[٦] إذا تبع شيئاً ، فهو تالٍ ، ولَمَتَالِي الأمهات ، إذا تلاهن أولادهن[٧] ، الواحدة مُتْلية»[٨] .

ويقال في مصدره : التُّلُو بضم التاء واللام والتشديد ، والتَّلْو بفتح التاء وسكون اللام . ذكر ذلك الكسائي[٩] .

---

(١) في (أ) : (نحو) بغير واو .

(٢) في (ع) : (العطا) .

(٣) في (ع) : (بالآخر) .

(٤) الحجة ٦/ ٤١٩ ، ٤٢٠ بتصرف .

(٥) قال بذلك ابن عباس ، ومجاهد ، وبمعناه : قتادة ، وابن زيد ، ومقاتل . انظر : تفسير مقاتل ٢٤١أ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢٠٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٠ ، وبه قال أيضاً الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ٩٩ب ، وانظر : معالم التنزيل ٤/ ٤٩١ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٧٣ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨١ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٨ .

(٦) (يتلوا) في كلتا النسختين .

(٧) في (ع) : (أولاد) .

(٨) ورد مختصراً في تهذيب اللغة (تلا) ١٤/ ٣١٦ ، وانظر : اللسان ١٤/ ١٠٣ .

(٩) ورد في تهذيب اللغة (تلا) ١٤/ ٣١٧ وكلامه : قال : (هي التلاوة أيضاً ، وقد تتلَّيْتُ حقي عنده ، أي تركت منه بقية ، وتَلَّيت حقي تَتَبَّعتُه حتى يستوفيه) .

واختلفوا في معنى : تلو القمر الشمس ، فقال عطاء عن ابن عباس : «يريد إقبالها بعد مغيبها»[١] .

قال المفسرون[٢] : «وذلك في النصف الأول من الشهر ، إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور» .

وقال قتادة[٣] ، والكلبي[٤] : «تلاها القمر ليلة الهلال ؛ لأن الشمس إذا غربت ظهر الهلال بعدها يتلوها في الغروب» .

وجعل الفرَّاء معنى تلو القمر الشمس الأخذ من ضوئها ، كما تقول في الكلام : اتبعت قول فلان ، وأخذت بقول فلان ، فاتباعه والأخذ منه سواء[٥] . ويقال : فلان يتبع فلاناً في كذا ؛ أي يأخذ منه . ونور القمر من نور الشمس على ما يقال : إنه يأخذ النور من الشمس ، وهو معروف عند الناس ، ومنه قول مَن قال :

كما تكسَّبَ منها نورَهُ القمرُ[٦]

---

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) قال بذلك ابن زيد ، وابن عباس . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٢٠٩ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٩٠ ، وإليه ذهب الطبري في جامع البيان ٣٠/ ٢٠٨ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ٩٩ب . ، وانظر أيضاً : معالم التنزيل ٤/ ٤٩١ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٧٣ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨١ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٨ . وتوجد أقوال أخرى في اتباعه لها . انظر : النكت والعيون ٦/ ٢٨٢ .

(٣) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٧٦ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢٠٨ ، والرازي ٣١/ ١٩٠ .

(٤) التفسير الكبير ٣١/ ١٩٠ .

(٥) معاني القرآن ٣/ ٢٦٦ بتصرف .

(٦) لم أتوصل إلى معرفة القائل ، وقد ورد ضمن مادة (بهج) في تهذيب اللغة ٦/ ٦٤ ، ولسان العرب ٢/ ٢١٦ ، وتاج العروس ٢/ ١٠ ، وجميعها برواية (نواره) بدلاً من (نوارها) ، والبيت للمتنبي في ديوانه .

وقال الزَّجَّاج : «تلاها حين استدار كما يتلو الشمس في الضياء والنور»[١] . يعني إذا كمل ضوؤه فصار تابعاً للشمس في الإنارة ، وذلك في الليالي البيض .

٣. قوله تعالى : ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ . معنى التجلية : الإظهار والكشف ، وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾ [الأعراف :١٨٧] .

قال الكلبي : «(جلاها) جلى الظلمة»[٢] .

قال الفرَّاء : «وجازت[٣] الكناية عن الظلمة ، ولم تذكر ؛ لأن المعنى معروف ، ألا ترى أنك تقول : أصبحت باردة ، وأمست باردة ، وهبت شمالاً ، [فكنى][٤] عن مؤنث لم يجرِ لها ذكر ؛ لأن المعنى معروف»[٥] .

ونحو هذا قال الزَّجَّاج ، وزاد فيها وجهاً آخرَ فقال : «وقيل : والنهار إذا [جلاها][٦] إذ بيَّن الشمس ؛ لأنها تتبين إذا انبسط النهار»[٧] .

وفاعل التجلية على القولين جميعاً النهار .

٤. وقوله تعالى : ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ . قال الكلبي : «يعني الشمس فيذهب بضوئها ، فتغيب وتظلم الآفاق»[٨] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٢ .

(٢) ورد معنى قوله في بحر العلوم ٣/ ٤٨٢ .

(٣) في (أ) : (جازت) .

(٤) هكذا وردت في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في أصل الكلام ، وهو معاني القرآن لانتظام الكلام ، والله أعلم .

(٥) معاني القرآن ٣/ ٢٦٦ .

(٦) (جليها) في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في مصدر أصل الكلام لانتظامه .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٢ .

(٨) ورد معنى قوله في معالم التنزيل ٤/ ٤٩١ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٧ .

وهذه الآية تقوِّي الآية الثانية في الآية التـــي قبلها ، وذلك أنه لمّا جعل الليل يغشى الشمس فيذهب بضوئها حسن أن يقال : النهار ويجليها على ضد ما ذكر في الليل ، وأيضاً فإن الضمير في (يغشاها) للشمس بلا خلاف ، كذلك في (جلاها) يجب أن يكون للشـــمس ، فيكون الضمير في الفواصل من أول الســـورة إلى هنا للشمس[١] .

٥. قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ . قال أبو عبيدة : «ومَن بناها»[٢] ، وهو مذهب المفسرين ، قال عطاء : «يريد والذي بناها»[٣] .

قال[٤] الكلبي : «مَن بناها ؟ ! الله بناها»[٥] ، ونحو هذا قال مقاتل : «والذي خلقها»[٦] .

وذكـــر الفـــرَّاء[٧] ، والزَّجَّاج[٨] وجهـــاً آخرَ ، وهو أن تكـــون (ما) بمعنى المصدر[٩] بتقدير : وبناها ، ونحو هذا كثير[١٠] .

٦. قوله تعالى : ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ . في (ما) وجهان كما ذكرنا ، (وطحاها) قال أبو عبيدة : «بسطها من كل جانب»[١١] .

---

(١) التفسير الكبير ٣١/ ١٩١ .
(٢) ورد مختصراً في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٠ .
(٣) معالم التنزيل ٤/ ٤٩٢ .
(٤) في (ع) : (وقال) .
(٥) المرجع السابق بمعناه .
(٦) ورد بمعناه في تفسيره ٢٤١أ ، قال : «وبالذي بناها ، يعني الرب نفسه» .
(٧) معالم التنزيل ٤/ ٤٩٢ .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٢ .
(٩) في (أ) : (المصد) .
(١٠) نحـــو قوله تعـــالى : ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ [يس :٢٧] . انظـــر : كتاب معاني الحـــروف للرماني ٨٦ ، وما بعدها معنى (ما) ، ومتى تكون اسماً ، ومتى تكون حرفاً ، وشروط ذلك ، فليراجع في موضعه .
(١١) ورد مختصراً في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٠ .

قال الليث : «الطَّحْوُ كالدَّحو ، وهو البَسْـطُ ، وفيه لغتان : طحا يَطْحُو[١] ، وطحَا يَطْحا»[٢] ، وقال شـمِر : «طحاها ، ودحَاهَا ، واحـد ، فأبدل الطاء من الدال ، والمعنى : وسَّعَها»[٣] .

قال عطاء[٤] ، (والكلبي[٥])[٦] : «بسطها على الماء» .

٧ـ٨. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ . المفسرون يقولون : والذي سـواها ؛ أي خلقها ، وسوى أعضاهَا[٧] ، وأهل المعاني يقولون : وتسويتها ؛ أي خلقها[٨] . كما قال : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ﴾ [الانفطار :٧] .

قـال عطاء عن ابـن عباس (في رواية عـلي بن أبي طلحة) : «بـيَّن لها الخير والشر»[٩] . وهذا كقوله : ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد :١٠] .

وقال في رواية عطية : «علَّمها الطاعة والمعصية»[١٠] .

---

(١) (يطحوا) في كلتا النسختين .

(٢) ورد في التهذيب (طحا) ٥/ ١٨٢ بلفظ : (يطحى) .

(٣) ورد في تهذيب اللغة ٥/ ١٨٢ ، ولسان العرب (طحا) ١٥/ ٤ ونسبه إلى الأزهري .

(٤) التفسير الكبير ٣١/ ١٩٢ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) إلى هـذا القول ذهب الطـبري في جامع البيان ٣٠/ ٢١٠ ، والسـمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٣١٠ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ١٠٠أ ، وانظر : الكشاف ٤/ ٢١٥ .

(٨) ذكر الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٢ القولين في (ما) .

(٩) ورد من طريق الوالبي في الكشف والبيان ١٣/ ١٠٠أ ، وصحيفة علي بن أبي طلحة ٥٣٤ ، ومن طريق عطية عند قوله : (فألهمها فجورها) في جامع البيان ٣٠/ ٢١٠ ، ووردت هذه الرواية عنه من غير ذكر طريق علي في النكت والعيون ٦/ ٨٣ ، ومعالم التنزيل ٤٠/ ٤٩٢ ، وزاد المسـير ٨/ ٢٥٨ في حاشـيته رقم ١ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٢ ، والدر المنثور ٨/ ٥٢٨ .

(١٠) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢١٠ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٠٠أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٢ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٨ في حاشيته رقم ١ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥١ ، والدر المنثور ٨/ ٥٢٨ .

وقال في رواية أبي صالح : «علَّمها وعرَّفها ما تأتي ، وما تتقي»[١] .

وقال في رواية عطاء : «ألهم المؤمن المتقي تقواه ، وألهم الفاجر فجوره»[٢] .

وقال سعيد بن جبير : «ألزمها فجورها وتقواها»[٣] .

وقال ابن زيد : «جعل فيها ذلك بتوفيقه إياها[٤] للتقوى ، وخذلانه إياها للفجور»[٥] .

واختار أبو إسحاق هذا الوجه ، وحمل الإلهام فيهما على التوفيق والخذلان[٦] .

وقال مقاتل : «عرَّفها الضلالة والهدى»[٧] .

والاختيار قول ابن زيد ، وسعيد بن جبير ، وهو الموافق لمعنى الإلهام ، فإن التبيين ، والتعريف ، والتعليم[٨] دون الإلهام ، والإلهام أن يوقع في قلبه ، ويجعل فيه ، كما ذكر ابن زيد : «إذا أوقع الله في قلب عبده شيئاً فقد ألزمه إياه ، وأصل

---

(١) ورد في معالم التنزيل ٤/ ٤٩٢ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٠٠أ منسوباً إلى الكلبي .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) ورد في معالم التنزيل ٤/ ٤٩٢ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٨ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٩٣ ، وورد بمعناه في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥١ ، والدر المنثور ٨/ ٥٣٠ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وتفسير سعيد بن جبير ، ٣٧٦ .

(٤) في (أ) : (اياهما) .

(٥) معالم التنزيل ٤/ ٤٩٢ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٨ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٩٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥١ ، وانظر أيضاً : فتح القدير ٥/ ٤٤٩ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٢ .

(٧) تفسير مقاتل ٢٤١أ .

(٨) في (أ) : (التعليم والتعريف) .

معنى الإلهام مـــن قولهم : لهم الشيء ، والتهَمَهُ إذا ابتلعه ، وألهمته ذلك الشيء إذا أبلغته . هذا هو الأصل»[١] .

ثم اســـتعمل ذلك في ما يقذفه الله في قلب العبد ؛ لأنه كالإبلاغ ، والتفســـير الموافق لهذا الأصل قول ابن زيد : «وهذا صريح في أن الله -تعالى- خلق في المؤمن تقواه ، وفي الكافر فجوره»[٢] .

والذي يؤكد هذا ويبيِّنه قوله :

٩. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ . قـــال ابـــن عبـــاس (في روايـــة عطـــاء[٣] ، والكلبي[٤])[٥] : «قد أفلحت نفس زكَّاها الله وأصلحها» ، وهو قول : مجاهد[٦] ، وعكرمة[٧] ، (وســـعيد بن جبـــير[٨] ، ومقاتل[٩]) قالوا : «سعدت وأفلحت نفس أصلحها وطهَّرها» .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (لهم) ٦/ ٣٠٨ ، ومقاييس اللغة ٥/ ٢١٧ ، والصحاح ٥/ ٢٠٣٦ ، ٢٠٣٧ .

(٢) وهذا ما يؤيده الحديث الذي أخرجه مسلم في كتاب القدر ، باب (١) ج ٤/ ٢٠٤١ ، ٢٠٤٢ ح ١٠ ، عن أبي الأسود الدِّئلِي قال : «قال لي عمران بن حصين : أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشيء قضي عليهم ، ومضى عليهم من قدر ما ســـبق ، أو في ما يســـتقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبت الحجـــة عليهم . . . ؟ فقال : لا بـــل شيء قضي عليهم ، ومضى فيهم ، وتصديـــق ذلك في كتاب الله : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾» . وانظر : مسند الإمام أحمد ٤/ ٤٣٨ .

(٣) ورد قوله من غـــير ذكر أحد الطريقين إليه في زاد المســـير ٨/ ٢٠٨ ، والدر المنثور ٨/ ٥٣١ منســـوباً إلى حســـين في الاســـتقامة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتـــم . وورد بمعناه في جامع البيان ٣٠/ ٢١١ من طريق علي الوالبي .

(٤) المراجع السابقة .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢١١ بلفظ : (من أصلحها) .

(٧) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢١١ بلفظ : (من أصلحها) .

(٨) المرجع السابق ، وانظر : النكت والعيون ٦/ ٢٨٤ .

(٩) تفسير مقاتل ٢٤١أ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٨ . وما بين القوسين ساقط من (أ) .

والمعنى : وفَّقها للطاعة حتى عمل بها .

١٠ . ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[١] . قالوا[٢] : «خابت ، وخسرت نفس أضلها الله ، وأغواها ، وأبطلها ، وأهلكها ، وأثمها ، وأفجرها» . هذه ألفاظهم في تفسير : (دسَّاها) ، والأصل : دسَّسَها من التدسيس ، وهو إخفاء الشيء في الشيء ، فأبدلت من إحدى السينات[٣] ياء ، كما قالوا : (لبَّيت) ، والأصل : لبَّبت ، و(ملبي) ، والأصل : ملبب ، وكذلك :

تَظَنَّيْت[٤]

وتَقَضِّيَ البَازِي[٥] . . .

---

(١) في (أ) : (دسيسها) .

(٢) أي المفسرين ، وعن قتادة : «أي أثمها ، وأفجرها» . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٧٦ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢١٣ . وعن ابن عباس : «قد خاب مَن دس الله نفسه فأضله» ، وعنه أيضاً : «تكذيبها» ، وعنه أيضاً : «أبطلها وأهلكها» . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٢١٢ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٠٠ب . وعن مجاهد : «أغواها» . وعن سعيد : «أضلها» . المرجعان السابقان . وقال ابن زيد : «قد خاب مَن دس الله نفسه» . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٢١٣ . وعن عكرمة : «خسرها» . وعن ابن سلام : «أشقاها» . وعن الضحاك : «جبنها في الخير» . وعن ابن عيسى : «أخفاها وأخملها بالبخل» . انظر : النكت والعيون ٦/ ٢٨٥ .

(٣) في (أ) : (الشينات) .

(٤) تظنيت ، وإنما هو : تظننت . وهذا اللفظ من جزء جاء فيه :

فإن شيطاني أمير الجن
يأخذني في الشعر كل فن
حتى يرد عني التظن

انظر : الإبدال لابن السكيت ١٣٣ .

(٥) أصله بيت شعر للعجَّاج ، وقد أورده أبو عبيدة في مجازه ٢/ ٣٠٠ ، وابن السكيت في كتاب الإبدال ١٣٣ ، والزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٢ ، والطبري في جامع البيان ٣٠/ ٢١٢ ، وقد سبق تخريجه . الشاهد : تقضى يتقضى ، والأصل : تقضض . والعرب تقلب حروف المضاعف إلى ياء . الإبدال ١٣٣ .

ذكر ذلك الفرَّاء[١] ، وأبـــو عبيدة[٢][٣] ، وجميع أهل المعاني[٤] ، وذكر الفرَّاء من نظائر هذا : الدينار[٥] ، والقيراط[٦] ، والديباج[٧] ، والديوان[٨][٩] .

قال أبو إسحاق : «معنى دسَّاها : جعلها قليلة خسيسة»[١٠] .

وذكرنا معنى الدس عند قوله : ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ﴾ [النحل :٥٩][١١] .

والتدسيس تفعيل منه ، ومعنى (دسَّاها) هاهنا : أخملها[١٢] ، وخذلها ، وأخفى محلها ، ولم يشهر مكاناً بالطاعة والعمل الصالح .

وهو معنى قول المفسرين : أضلها ، وأغواها ، وأبطلها ، كما ذكرنا .

وقد أقســـم الله -تعالى- بهذه الأشـــياء التي ذكرها من خلقه ؛ لأنها تدل على وحدانيته على فلاح من طهره ، وخســـارة من خذله ، حتـــى لا يظن أحد أنه هو

---

(١) معاني القرآن ٣/ ٢٦٧ ، والنص له .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٣٠٠ .

(٣) في (أ) : (أبو عبيد) .

(٤) لم أعثر على مصدر لقولهم ، وقد ورد نحوه عن ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٣٤٤ ، وانظر : تهذيب اللغة (دس) ١٢/ ٢٨١ .

(٥) الدينار : أصله من دِنَّار ، يدل على ذلك جمعهم إياه : دنانير . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٢٦٧ .

(٦) جمعه قراريط ، كأنه كان قِرّاطاً . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٢٦٧ .

(٧) جمعه ديابيج . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٢٦٧ .

(٨) ديوان كان أصله دوّان لجمعهم إياه : دواوين . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٢٦٧ .

(٩) معاني القرآن ٣/ ١٦٧ .

(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٢ .

(١١) مما جاء في تفسير معنى الدس ، قوله : ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ﴾ [النحل : ٥٩] ؛ أي يخفيه ، والدس إخفاء الشيء ، وهذا على ما كانوا يفعلونه من الوأد في الجاهلية .

(١٢) أخملها : الخامل الساقط الذي لا نباهة له ، وقد خَمَلَ يَخْمُلُ خمولاً ، وأخملته أنا . انظر : الصحاح (خمل) ٤/ ١٦٩٠ .

الذي يتولى تطهير نفسه ، وإهلاكها بالمعصية من غير قدر ، وقضاء سابق ، ويدل على هذه الجملة ما روي عن (سعيد بن أبي هلال[١] أن)[٢] النبي ﷺ كان إذا قرأ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ وقف ، ثم قال : «اللهم ائتِ نفسي تقواها ، أنت وليها ، ومولاها ، وزكِّها ، أنت خير مَن زكَّاها»[٣] .

يدل على صحة هذا ما أخبرنا الإمام أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر (التميمي رحمه الله)[٤] بقراءتي عليه ، قلت (له)[٥] : «أخبركم أبو عمرو ؛ محمد بن جعفر بن مطر[٦] ، أخبرنا[٧] جعفر بن محمد المستفاض[٨] ، حدَّثنا[٩]

---

(١) سعيد بن أبي هلال الليثي ، أبو العلاء المصري ، مولى عروة بن شيَيْم الليثي ، روى عن أنس بن مالك (يقال مرسل) ، وجابر بن عبدالله ، لم يرو عن النبي ﷺ ، ولد في مصر سنة ٧٠هـ ، ونشأ في المدينة ، ثم رجع إلى مصر ، وتوفي سنة ١٣٥هـ ، وحُكي عن أحمد أنه اختلط ، وروى له الجماعة . انظر : المراسيل ٦٧ت ١١٩ ، وتهذيب الكمال ١١/ ٩٤ت ٢٣٧٢ ، وتقريب التهذيب ١/ ٣٠٧ت ٢٧٤ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ) .

(٣) وردت مثل هذه الرواية عن ابن عباس مرفوعة إلى النبي ﷺ ، وقد رواه الطبراني ، وإسناده حسن . قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٣٨ ، سورة الشمس .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٦) محمد بن جعفر بن محمد بن مطر النيسابوري ؛ أبو عمرو ، روى عن أبي عمرو ، وأحمد المبارك المُستملي ، ومحمد بن أيوب الرازي ، وطبقتهما ، كان متعففاً قانعاً ، توفي في جمادى الآخرة وله ٩٥ سنة . انظر : المنتظم ١٤/ ٢٠٨ت ٢٦٩٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٦٢ت ١١٧ ، والعبر في خبر مَن غبر ٢/ ١٠٦ .

(٧) في (ع) : (اثنا) .

(٨) جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض ، أبو بكر الفريابي القاضي ، تقدَّمت ترجمته .

(٩) في (ع) : (نا) .

سليمان بن عبدالرحمن[١] ، حدَّثنا[٢] رواد بن الجراح[٣] ، حدَّثنا[٤] نافع بن عمر[٥] ، عن عبدالله بن أبي مليكة ، قال : قالت عائشة ، رحمها الله[٦] : انتبهت ليلة ، فوجدت رسوله الله ﷺ وهو يقول : «رب أعطِ نفسي تقواها ، وزكِّها أنت خير مَن زكَّاها ، أنت وليها ومولاها»[٧] .

والضمير في قوله : ﴿زَكَّىٰهَا﴾ و(مولاها) يعود إلى : ﴿مَن﴾ ، وهو بمعنى النفس .

---

(١) سليمان بن عبدالرحمن بن عيسى بن ميمون بن عبدالله التميمي الدمشقي ، جدُّه شرحبيل بن مسلم الخولاني ، حدَّث عنه جعفر الفريابي ، وقال عنه ابن حجر : «صدوق ، يخطئ» ، توفي سنة ٢٣٣هـ . انظر : تهذيب الكمال ١٢/ ٢٦ت ٢٥٤٤ ، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٣٦ت ٥٠ ، وتقريب التهذيب ١/ ٣٢٧ت ٤٦٧ . وسلسلة الإسناد إلى سليمان بن عبدالرحمن متصلة ، أمَّا تحديث سليمان بن عبدالرحمن عن رواد ففيه انقطاع ؛ إذ إن رواداً ليس من شيوخه ، ولا ابن بنت شرحبيل من تلاميذ رواد ، والله أعلم .

(٢) في (ع) : (نا) .

(٣) روّاد بن الجراح الشامي ، أبو عصام العسقلاني ، والد عصام بن رواد ، كان من أهل خراسان ، قال ابن حجر عنه : «اختلط بأخرة فترك ، وفي حديثه عن الثوري ضعف شديد» . انظر : تهذيب الكمال ٩/ ٢٢٧ت ١٩٢٧ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٨ ، وتقريب التهذيب ١/ ٢٥٣ت ١١٠ ، وتحديث روّاد عن نافع فيه انقطاع ؛ فنافع ليس من شيوخه ، وروّاد من التاسعة ، ونافع من كبار السابعة .

(٤) في (ع) : (نا) .

(٥) نافع بن عمر بن عبدالله بن جميل بن عامر بن جمح القرشي ، ثقة ثبت من كبار السابعة ، توفي سنة ١٦٩هـ ، أُمُّه أُمُّ ولد . انظر : الطبقات الكبرى ٥/ ٤٩٤ ، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٢٨٧ت ٦٣٦٧ ، وتقريب التهذيب ٢/ ٢٩٦ت ٢٤ .

(٦) في (ع) : (رضي الله عنها) .

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٢٠٩ من طريق سعيد عن عائشة ، وقد وردت رواية عن طريق زيد بن أرقم في صحيح مسلم ٤/ ٢٠٨٨ ح ٧٣ ، باب (١٨) ، والحديث كما هو عنده عن زيد بن أرقم ، قال : «لا أقول إلَّا كما كان رسول الله ﷺ يقول ، كان يقول : «اللهم آتِ نفسي تقواها ، وزكِّها أنت خير مَن زكَّاها ، أنت وليها ومولاها . . . .» . وأخرجه النسائي ٨/ ٦٥٣ ح ٥٤٧٣ ، ٥٥٥٣ ، في كتاب الاستعاذة ، باب (١٣) ، (٦٥) من طريق زيد بن أرقم . وطريق زيد أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٣٧١ .

قال الفرَّاء[١] ، والزَّجَّاج[٢] : يقول قد أفلحت نفس زكَّاها الله ، وقد خابت نفس دسَّاها الله .

وذُكر في الآيتين قول آخر ، قال الحسن : «قد أفلح مَن زكَّى[٣] نفسه فأصلحها ، وحملها على طاعة الله ، وقد خاب مَن أهلكها وحملها على معصية الله»[٤] .

ونحو هذا القول يروى عن قتادة[٥] ، وذكره[٦] الفرَّاء فقال : «ويقال[٧] : قد[٨] أفلح مَن زكَّى نفسه[٩] بالصدقة وبالطاعة ، وقد خاب مَن دسَّى[١٠] نفسه فأخملها بترك الصدقة والطاعة» .

---

(١) معاني القرآن ٣/ ٢٦٧ ، واللفظ له .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٣ .

(٣) في (أ) : (زكا) .

(٤) ورد في الكشف والبيان ١٣/ ١٠١أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٣ ، والدر المنثور ٨/ ٥٣٠ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وانظر : تفسير الحسن البصري ٢/ ٤٢٤ .

(٥) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٧٦ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢١٣ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٠٠ب ، والنكت والعيون ٦/ ٢٨٤ .

(٦) في (ع) : (ذكر) .

(٧) في (أ) : (يقال) .

(٨) في (أ) : (وقد) .

(٩) في (أ) : (زكا) .

(١٠) في (أ) : (دسا) .

وذكر وجهاً آخرَ على هذا القول في قوله : ﴿دَسَّىٰهَا﴾ فقال : «إن البخيل يخفي منزله وماله ، وإن المعطي يُبرز منزله ، فينزل على الأشراف والروابي[١] ؛ [لئلا][٢] يستتر عن الضِّيفان ، ومَن أراده»[٣] .

وشرحه ابن قتيبة فقال : «يريد قد أفلح مَن زكَّى[٤] نفسه ؛ أي أنماها ، وأعلاها بالطاعة ، والبر ، والصدقة ، واصطناع المعروف ، وقد خاب مَن دسَّاها ؛ أي نقصها وأخفاها بترك عمل البر ، وركوب المعاصي ، والفاجر أبداً خَفيَّ المكان زَمِرُ[٥] المروءة ، غامض الشخص ، ناكِسُ الرأس ، وكأن النَّطِف[٦] بارتكاب الفواحش دسَّ نفسه وقمعها ، ومُصْطَنِع المعروف شهر نفسه ورفعها ، وكانت أجواد العرب تنزل الرُّبَى[٧] ، وأيفاع[٨] الأرض لتشهر أماكنها للمُعْتفين ، وتُوقد النيران في الليل للطارقين ، وكانت اللئام تنزل الأولاج[٩] ، والأطراف

---

(١) الروابي : ما أشرف من الرَّمل مثل الدكداكة ، غير أنها أشد منها إشرافاً . انظر : لسان العرب (ربا) ١٤/ ٣٠٦ .

(٢) في كلتا النسختين (لأن لا) ، وما أثبته من المعاني .

(٣) معاني القرآن ٣/ ٢٦٧ .

(٤) في (أ) : (زكا) .

(٥) زمِرُ المروءة : قليل المروءة . انظر : لسان العرب ٤/ ٣٢٨ .

(٦) النَّطِف : المتهم . انظر : لسان العرب (نطف) ١١/ ٤٨ .

(٧) الرُبى : مفردها الرَّبوة ، وهي كل ما ارتفع عن الأرض ورَبا . انظر : لسان العرب (ربا) ١٤/ ٣٠٦ .

(٨) ورد في لسان العرب (يفع) ٨/ ٤١٤ : (اليفاع : المُشْرف من الأرض والجبل) ، وفي الصحاح (يفع) ٣/ ١٣١٠ : (ما ارتفع من الأرض) .

(٩) الأولاج : جمع الوَلَجة بالتحريك ، وهو موضع أو كَهْف تستتر فيه المارة من مطر وغيره ، والجمع وَلَج وأولاج . انظر : الصحاح (ولج) ١/ ٣٤٧ .

والأهضام[١] لتخفي أماكنها على الطالبين ، فأولئك أعلَوْا أنفسهم وزكُّوها ، وهؤلاء أخفَوْا أنفسهم ودسُّوها ، وأنشد[٢] :

وبَوَّأْتَ بيتَكَ في مَعْلَمٍ رَحِيبِ المَبَاءَةِ والمُسْرَحِ
كَفَيْتَ العُفَاةَ طلابَ القِرى ونَبْحَ الكِلابِ لِمُسْتَنْبِحِ»[٣][٤] .

وذكر وجهاً آخرَ في قوله : ﴿دَسَّىٰهَا﴾ .

قال أبو العباس : «سألت ابن الأعرابي عن قوله : ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ ، فقال : معناه : مَن دسَّ نفسه مع الصالحين ، وليس هو منهم[٥] ، وهو منطوٍ على غير ما ينطوي عليه الصالحون»[٦] .

١١. قوله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ . قال الليث : «الطغيان و[الطُغْوان][٧] لغة فيه ، والفعل طَغَيْتَ ، وطَغَوْتَ[٨] والاسم الطغوى»[٩][١٠] .

---

(١) الأهضام : مفرده الهُضْم ، والهضَمَ ، وهو المطمئن من الأرض ، والجمع أهْضام وهُضوم . انظر : لسان العرب (هضم) ١٢/ ٦١٥ .
(٢) غير منسوب في المعاني الكبير ١/ ٤٠٩ ، وذكر البيت الأول .
(٣) الحيوان ١/ ٣٨١ ، ٥/ ١٣٤ ، ١٣٥ .
(٤) ورد مختصراً في تأويل مشكل القرآن ٣٤٤ ، ٣٤٥ .
(٥) ورد قوله في تهذيب اللغة ١٢/ ٢٨١ بنصه ، وانظر : لسان العرب (دس) ٦/ ٧٢ .
(٦) في (ع) : (الصالحين) .
(٧) (الطغيان) هكذا وردت في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في أصل الكلام .
(٨) في (أ) : (طغوت وطغيت) .
(٩) في (أ) : (للطغوى) .
(١٠) تهذيب اللغة (طغو) ٨/ ١٦٧ ، ولسان العرب (طغى) ١٥/ ٦ .

قال الفرَّاء : «أراد بطغيانها ، وهما مصدران إلَّا أن الطغوى أشكل برؤوس الآيات فاختير لذلك ، وهو كالدعوى من الدعاء»[١][٢] .

وقال أبو إسحاق : «أصل طغواها طغياها ، وفَعْلى إذا كانت من ذوات الياء أبدلت في الاسم واواً ، لتفصل بين الاسم والصفة ، تقول : هي التقوى ، [وإنما هي من أيقنت ، وهي التقوى ، وإنما هي من يقنت][٣] ، والدعوى[٤] ، وقالوا : امرأة خزي لأنه[٥] صفة»[٦] .

قال المفسرون : «كذبت ثمود بنبيهم بطغيانهم ؛ أي الطغيان حملهم على التكذيب به»[٧] .

---

(١) أي كقوله تعالى : ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[يونس :١٠] ، ومعناه : آخر دعائهم . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٢٦٧ .

(٢) ورد في معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٢٦٧ بتصرف .

(٣) ما بين القوسين ساقط من النسختين ، وأثبت ما جاء في أصل الكلام لاستقامته وانتظام الكلام به .

(٤) لم ترد عند الزَّجَّاج .

(٥) (امرأة خزياً) هكذا روت عند أبي إسحاق في المعاني .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٣ .

(٧) قال بذلك ابن زيد ، قال : «بطغيانهم وبمعصيتهم» ، وكذلك قال به مجاهد ، وقتادة . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٢١٣ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٨٥ . ونسبه إلى جمهور المتأولين ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨ . وعنه قال الفخر في التفسير الكبير ٣١/ ١٩٥ : «هذا هو القول المشهور» . وعنه قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٢ : «وهو الأولى» . وإلى هذا القول ذهب ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٣٠ ، والسجستاني في نزهة القلوب : ٣١٥ . انظر أيضاً : نفس الصباح ٧٨٤ ، وتحفة الأريب ٢١٤ ، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن ٥٦٠ ، وقال به أيضاً السمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٤٨٣ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ١٠١أ ، وانظر أيضاً : معالم التنزيل ٤/ ٤٩٣ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٩ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٢ .

(هذا قول جماعتهم)[١] ، وقد روى عطاء (الخرساني)[٢] عن ابن عباس أن الطغوى اسم لعذابهم الذي أهلكوا به[٣] .

والمعنى : كذبت بعذابها ، أي لم يصدقوا رسولهم في ما أنذرهم به من العذاب ، وهذا لا يبعد ، لأن معنى الطغيان في اللغة مجاوزة [القدر][٤][٥] .

فيجوز أن يسمى ذلك العذاب الذي جاءهم طغوى ؛ لأنه كان صيحة مجاوزة القدر المعتاد ، يؤكد هذا التأويل

١٢. وقوله : ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ ؛ أي كذَّبوا بالعذاب[٦] لمّا انبعث الأشقى للعقر[٧][٨] ، والتكذيب بالعذاب حمله على ذلك . ويجوز أن يكون تكذيب صالح حمله على ذلك ، وهذا القول الأول في الطغوى .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢١٣ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٠١أ مختصراً ، والنكت والعيون ٦/ ٢٨٥ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٧٨ . وقال آخرون : «بطغواها أي بأجمعها» ، وقال مجاهد : «أي معصيتها» . انظر : جامع البيان ٣٠/ ٢١٥ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ٨/ ١٦٧ ، وهو قول الليث .

(٥) (القدرة) في كلتا النسختين .

(٦) في (ع) : (بالعذاب) مكرر .

(٧) في (أ) : (العقر) .

(٨) العَقْر : شبيه بالخز ، عَقَرَ يَعْقِره عَقَراً ، وعَقَّره ، والعَقير : المعقور ، والجمع : عَقْرى ؛ الذكر والأنثى فيه سواء ، وعَقَر الفرس والبعير بالسيف عَقَراً : قطع قوائمه . انظر : لسان العرب (عقر) ٤/ ٥٩٢ . وأصل العَقْر : ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم . انظر : تاج العروس (عقر) ٣/ ٤١٤ . وقال الأزهري في تهذيب اللغة (عقر) ١/ ٢١٥ : «والعَقَر عند العرب كَسْف عرقوب البعير ، ثم جُعِل النَّحر عقراً ، لأن العَقر سبب لنحره ، وناحِر البعير يعقِره ثم ينحره» .

وانبعث مطاوع ، يقال : بعثت فلاناً على الأمر فانبعث له ؛ أي انتدب وقام[١] .

وأراد بالأشقى : عاقر الناقة ، وهو أشقى الأولين على لسان نبينا ﷺ[٢] .

١٣ . ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ ؛ صالح .

﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ . قال أبو إسحاق : «ناقة الله منصوب على معنى ذروا ناقة الله ، كما قال : ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا﴾ [الأعراف :٧٣]»[٣] .

---

(١) قال الليث : «بعثت البعير فانبعث ، إذا حللت عقاله وأرسلته لو كان باركاً فأثرته ، قال : بعثته من نومه فانبعث» ، وقال الأزهري في تهذيب اللغة ٢/ ٣٣٤ ٣٣٥ : «والبعث في كلام العرب على وجهين أحدهما : الإرسال والبعث : إثارة بارك أو قاعد» ، وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٣٠ : «﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ ؛ أي الشقي منها ، أي نهض لعقر الناقة» .

(٢) عن عثمان بن صهيب ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ أنه قال يوماً لعلي : «مَن أشقى الأولين ؟ قال : الذي عقر الناقة يا رسول الله ، قال : صدقت ، قال : فمَن أشقى الآخرين ؟ قال : لا علم لي يا رسول الله ، قال : الذي يضربك على هذه ، وأشار النبي ﷺ إلى يافوخه» . رواه الطبراني ٨/ ٤٥ : ح ٧٣١١ ، وأبو يعلى ، وفيه رشدين بن سعد وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات . انظر : مجمع الزوائد في كتاب المناقب ، باب وفاة سيدنا علي رضي الله عنه ٩/ ٣٦ ، وكنز العمال ٢/ ١٤ ح ٢٩٤٥ . وجاءت رواية أخرى من طريق عمار بن ياسر ، قال : «كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة ذات العشيرة . فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي : يا أبا تراب ، لما يرى عليه من التراب ، قال : ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين ، قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا علي على هذه ، يعني قرنه ، حتى تبل منه هذه ، يعني لحيته» . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٣٦ : «ورواه أحمد ، والطبراني ، والبزار باختصار ، ورجال الجميع موثقون إلَّا أن التابعي لم يسمع من عمار» . ورد في مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٦٣ ، وحلية الأولياء ١/ ١٤١ ، والدر المنثور ٨/ ٥٣١ منسوباً إلى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبغوي ، وأبو نعيم في الدلائل . انظر : دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ١٢ ١٣ ، وسيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٣ بنصه .

وقال الفرَّاء : «حذَّرهم إياها ، وكل تحذير[١] فهو نصب»[٢] .

وقوله : ﴿وَسُقۡيَٰهَا﴾ . عطف على ناقة الله ، وهو اسم من السقي ، ﴿وَسُقۡيَٰهَا﴾ شربها من الماء وما يسقاها[٣] .

قال الكلبي[٤] ، ومقاتل[٥] : «قال لهم صالح : ذروا ناقة الله ، فلا تعقروها ، وذروا أيضاً سقياها ، وهي شربها من النهر ، فلا تعرضوا للماء يوم شربها ، فإنكم معذبون ، فكذبوا صالحاً بالعذاب أنه غير كائن» ، وهو قوله :

١٤ . ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ ؛ أي بتحذيره إياهم العذاب بعقرها ، وذلك أن قوله : ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ يدل انتصابه على التحذير ، فعقروها ، وتفسير العقر قد تقدَّم في هذه القصة .

﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «فدمَّر عليهم ربهم»[٦][٧] ، ونحو هذا قال مقاتل[٨] .

وقال المؤرج : «الدمدمة ، إهلاك باستئصال»[٩] .

---

(١) في (أ) : (تحرير) .

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٦٨ .

(٣) في (أ) : (وساقها) .

(٤) فتح القدير ٥/ ٤٥٠ .

(٥) ورد في تفسير مقاتل ٢٤١أ ، وفتح القدير ٥/ ٤٥٠ ، وانظر معنى هذا القول في : جامع البيان ٣٠/ ٢١٤ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٣ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٢ .

(٦) ساقط من (ع) .

(٧) ذكر في تفسير مقاتل ٢٤١ب ، وورد قوله من طريق الضحاك عنه في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٧٩ ، وورد منسوباً إلى عطاء في معالم التنزيل ٤/ ٤٩٤ .

(٨) معالم التنزيل ٤/ ٤٩٤ .

(٩) ورد في الكشف والبيان ١٣/ ١٠١ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٤ منسوباً إلى المؤرج ، ولعله خطأ ، وانظر : زاد المسير ٨/ ٢٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٧٩ ، وفتح القدير ٥/ ٤٥٠ .

وقال ابن الأعرابي : «دمدم : إذا عَذَّب عذاباً تاماً»[١] .

وذكر الزَّجَّاج أصل هذا الحرف ، فقال : «معنى دمدم : أطبق عليهم العذاب ، يقال : دمدمته على الشيء إذا أطبقت عليه ، وكذلك دمدمت عليه القبر وما أشبهه ، ويقال : ناقة الله مَدْمُومة ؛ أي قد أَلْبَسَها الشحم ، فإذا كررت الأطباق قلت : دمدمت عليه»[٢] ، هذا كلامه . ومعنى الدم في اللغة : اللطخ ، يقال للشيء السمين كأنه دمَّ بالشحم دمّاً[٣] ، فجعل أبو إسحاق (دمدم) من هذا الحرف على التضعيف نحو : ﴿فَكُبْكِبُوا﴾[٤] فيجوز أن يكون معنى ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ سوَّى عليهم الأرض[٥] بأن أهلكهم ، فجعلهم تحت التراب ، يدل على هذا قوله : ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ .

قال عطاء عن ابن عباس : «يريد فسوَّى عليهم الأرض»[٦] .

ويجوز أن يكون المعنى : ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ أطبق عليهم العذاب ، وعمَّهم[٧] به كالشيء الذي يلطخ ، فيعم ما يلطخ به ، ويكون على هذا معنى ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ فسوَّى الدمدمة عليهم ، وعمَّهم بها ، وذلك أن هلاكهم كان بصيحة جبريل ، وتلك الصيحة أهلكتهم جميعاً فاستوت على صغيرهم وكبيرهم ، (قاله مقاتل[٨])[٩] .

---

(١) تهذيب اللغة (دمم) ١٤/ ٨٣ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٣ بنحوه .

(٣) تهذيب اللغة (دمم) ١٤/ ٨١ .

(٤) قوله تعالى : ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء :٩٤] .

(٥) قد يكون في نسخة (أ) ، وهو مكرر ، وفي غير موضعه .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) في (ع) : (وعمقهم) .

(٨) ورد بمعناه في تفسير مقاتل ٢٤١ب ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وقال ابن الأنباري : «دمدم : غضب ، قال : وتكون الدمدمة الكلام الذي يُزْعج الرجل . وأكثر[١][٢] المفسرين قالوا في ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ : أرجف الأرض بهم»[٣] ، هذا كلامه .

ونحو ذلك روى ثعلب عن ابن الأعرابي في هذه الآية ، قال : «دمدم : أرجف»[٤] ، (وهو قول الفرَّاء : أرجف بهم[٥])[٦][٧] .

وقوله : ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ . قال الفرَّاء : «سوَّى الأُمة ؛ أنزل العذاب بصغيرها وكبيرها ، بمعنى : سوَّى بينهم»[٨] ، وهذا قول ثالث سوى القولين ذكرناهما في قوله : ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ .

---

(١) في (أ) : (أكثر) بغير واو .

(٢) ممن قال بذلك السجستاني في نزهة القلوب ٢٣٠ ، والفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٦٩ .

(٣) لم أعثر عليه في ما لدي من مصادر ، وقد ورد في تهذيب اللغة (حاشية النسخة م) ١٤/ ٨١ . أمَّا الذي ورد عنه في متن التهذيب فهو : (أطبق عليهم العذاب) ، وانظر : لسان العرب (دمم) ١٢/ ٢٠٩ .

(٤) التفسير الكبير ٣١/ ١٩٦ .

(٥) معاني القرآن ٣/ ٢٦٩ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) من قوله : (ومعنى الدم في اللغة . . .) إلى قوله : (أرجف لهم) أورده الفخر في التفسير الكبير ٣١/ ١٩٦ بنصه نقلاً عن الواحدي .

(٨) معاني القرآن ٣/ ٢٦٩ .

١٥. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾. قال ابن عباس (في رواية الوالبي)[١]: «لا يخاف الله من أحد تَبِعَةً في إهلاكهم»[٢]، وهو قول الحسن، قال: «ذلك الرب صنع بهم، ولا يخاف تَبِعَةَ»[٣].

(وعلى هذا الواو في ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ في موضع حال.

المعنى: فسوَّاها غير خائف عقباها؛ أي غير خائف أن يتعقب عليه في شيء مما فعله، وفاعل يخاف: الضمير العائد إلى قولهم: ﴿رَبُّهُم﴾)[٤].

وقال مقاتل: «يعني لا يخاف عاقر الناقة العقوبة من الله في عقرها»[٥]، وهو قول الضحاك[٦]، والسُّدِّي[٧]، (والكلبي[٨])[٩].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٢) ورد قوله في جامع البيان ٣٠/ ٢١٥، والكشف والبيان ١٣/ ١٠١ب، وورد بمعناه في النكت والعيون ٦/ ٢٨٥، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٩، وزاد المسير ٨/ ٢٦٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٧٩، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٣، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٢، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٣، وصحيفة علي بن أبي طلحة ٥٣٤.

(٣) المراجع السابقة، انظر: الدر المنثور ٥٣١ منسوباً إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وانظر: تفسير الحسن البصري ٢/ ٤٢٤. قال ابن عطية: «وفي هذا المعنى احتقار للقوم وتعقبه لأثرهم»، ورجَّح هذا القول ابن كثير، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٥٠.

(٤) ما بين القوسين نقله الإمام الواحدي عن الحجة ٦/ ٤٢٠.

(٥) ورد بمعناه في تفسير مقاتل ٢٤١ب، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٩، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٢.

(٦) ورد معنى قوله في المرجعين السابقين، وفي جامع البيان ٣٠/ ٢١٥، والكشف والبيان ١٣/ ١٠١ب، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٤، وزاد المسير ٨/ ٢٦٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٨٠، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٢، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٣، والدر المنثور ٨/ ٥٣١، وفتح القدير ٥/ ٤٥٠.

(٧) ورد بمعناه في المراجع السابقة، وانظر: تفسير السُّدِّي ٤٧٨.

(٨) ورد بمعناه في الكشف والبيان ١٣/ ١٠١ب، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٤، وزاد المسير ٨/ ٢٦٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٨٠، وفتح القدير ٥/ ٤٥٠

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(وعلى هذا القول ، الآية منتظمة بقوله : «إذا انبعث أشقاها * ولا يخاف عقباها» ؛ أي لا يخاف من إقدامه على ما أتاه مما نُهي عنه ، ففاعل يخاف : العاقر)[١] .

والمعنى : عقبى عقرها ، فحذف المضاف .

قال الفرَّاء : «حتى عقرها ، ولم يخفْ عاقبة عقرها ، وفي مصاحف الشام والحجاز : (فلا يخاف) بالفاء»[٢] .

قال الفرَّاء : «وكلٌّ صواب ، قال : والفاء أجود في القول الأول ، يعني أن يكون منتظماً بقوله : ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾»[٣] .

* * *

(١) ما بين القوسين منقول عن الحجة ٦/ ٤٢٠ بتصرف يسير ، وانظر : التعليل في القراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٨٠ .

(٢) قرأ أبو جعفر ، ونافع ، وابن عامر (فلا يخاف عُقباها) بالفاء ، وكذلك في مصاحف أهل المدينة والشام ، وقرأ الباقون ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ بالواو ، وكذلك في مصاحفهم ، وهذا منتظم مع قول مقاتل ، والضحاك ، والسُّدِّي ، والكلبي . انظر : كتاب السبعة في القراءات ٦٨٩ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٨٠ ، والحجة ٦/ ٤٢٠ ، والمبسوط ٤١١ ، وحجة القراءات ٧٦٦ .

(٣) معاني القرآن ٣/ ٢٦٩ ، ٢٧٠ بتصرف .